الجاسوسية في البلاد الشامية زمن الحروب الصليبية

د/محمد عبدالله محمد مهيوب المقدم
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد آداب تعز

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة النشاط الجاسوسي المنظم في البلاد الشامية في عصر الحروب الصليبية، وذلك من خلال استعراض الأنشطة والأساليب التجسسية المتبادلة خلال فترة الصراع الإسلامي الصليبي وتنظيماتها الدقيقة، فالحرب الاستخباراتية لا تقل أهمية عن العمليات العسكرية، فالانتصار بالحروب أو خسارتها مرهون بتوافر المعلومات السرية والمهمة والتي على ضوئها تُرسم الخطط الحربية، وتُتخذ القرارات المناسبة، ويمكن القول أن الحرب الاستخباراتية كانت من أهم أعمدة الصراع الشامل بين المشروعين الإسلامي والفرنجي في جميع المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية، وامتازت الحرب الاستخباراتية بديمومتها واستمراريتها في أوقات الحرب والسلم منذ فجر الحروب الصليبية وحتى طرد البقايا الصليبية من البلاد الشامية.

مقدمة

طُبع الإنسان على حب الأخبار منذ فجر الخليقة، وأدركت الأمم القديمة في الشرق والغرب أهمية الاستخبار، وتطورت فنون الجاسوسية لدى الممالك اليونانية والرومانية والفارسية والصينية والقرطاجية والمصرية، واهتمت الممالك والدويلات الإسلامية بالعيون والجواسيس، وفي زمن الحروب الصليبية ازدهرت ظاهرة الجاسوسية، واتخذت ابعاداً ومسارات جديدة تتناسب مع كثافة النشاط الاجتماعي والسياسي والعسكري، وشيوع المكائد والمؤامرات، التي شهدتها البلاد الشامية.

وسيتناول هذا البحث ماهية الجاسوسية وأنوعها وأهميتها وبواعثها، وسيتطرق لمواصفات الجواسيس ومهامهم ومراتبهم وفئاتهم وطرق تنكُرهم، وسيرصُد الفئات المستهدفة بالجاسوسية والأوقات والأماكن الملائمة للتجسس، ووسائل نقل المعلومات الاستخباراتية، واحتياطات التعامل مع المخبرين ومكافآتهم وعقوباتهم، والنتائج السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية للعمل التجسسي، ومن الصعوبات التي واجهت هذه الدراسة شحة المعلومات الجاسوسية وندرتها؛ نظراً لطبيعة النشاط التجسسي الذي يتسم بقدر كبير من الغموض والكتمان، فضلاً عن حرص الأسر الحاكمة على عدم تسرب أسرار مخابراتها وجواسيسها.

تعريف الجاسوسية وأنواعها وأهميتها ودوافعها:

ورد في هذه الدراسة مصطلحات الجواسيس والعيون والطلائع والقصاد والسعاة، والجاسوس هو الشخص الذي يفتش عن بواطن الأمور، ويتتبّع الأخبار ويتفحصها [1] وسُمي الجاسوس عيناً لأنه كثيرا ما يستخدم عينيه في مهامه الجاسوسية[2] وتقوم طلائع الجيوش بأنشطة استخباراتية؛ عبر رصد

تحركات الأعداء واستطلاع استعداداتهم، وجمع كافة المعلومات عنهم [3] ويُطلق على الجواسيس أحياناً مصطلح القُصاد، وهم المبعوثون والسفراء الذين يقومون بمهام سرية تحت غطاء عملهم الدبلوماسي[4] ويُسمى الجواسيس بالسُعاة لسِعايتهم بالناس إلى الولاة والحكام[5].

وتنوعت صور الجاسوسية بين جاسوسية منظمة وغير منظمة، وجاسوسية داخلية وخارجية، وجاسوسية إيجابية ووقائية، وجاسوسية ظاهرة وخفية، وكان هناك جواسيس جوّالون وآخرون مقيمون، وجواسيس رسميون وغير رسميين، وجواسيس يتقاضون أجوراً، وآخرون يقدمون خدماتهم مقابل منافع سياسية، وهناك من الجواسيس من يقوم بمهام دائمة، وجواسيس يقومون بمهام مؤقتة.

وتعود أهمية الاستخبارات إلى أنها تُعد من أهم أُسس المُلك وأعمدة السلطة، فصلاح الممالك وفسادها، واصلاح خللها وازالة اضطرابها، وتمييز أعدائها من أصدقائها، وتحصين أمنها وتحقيق استقرارها، وكسب الحروب وخسارتها مرهون بالعيون والجواسيس، كما أن إعداد الجيوش وتدريبها وتسليحها لا يكفي وحده للانتصار دون خطط حربية وقرارات صحيحة مبنية على المعلومات الاستخباراتية؛ فالعيون والجواسيس هم الذين ينقّبون عن أسرار الأعداء وأحوالهم ودقيق أخبارهم وأطماعهم، ويحصون أعدادهم وعُدتهم وجُندهم وسلاحهم، ويُحددون مواطن القوة والضعف في صفوف خُصومهم، ويبثون الأراجيف والشائعات ويزرعون الرعب والخوف في نفوس مُخاليفهم، ويحبطون مخططات المتمردين والمفسدين ويفشلون مؤامراتهم، ويرسمون مسار المعارك وطُرق الجيوش وتحركاتهم وأماكن نُزولهم[6] فهم في كل أمة بمثابة عيونها التي تبصر بها، وآذانها التي تسمع بها، وأذرعها التي تُهدد وتبطُش بها.

وتعتبر الأغراض السياسية والحربية والأمنية من أهم مقاصد الجاسوسية، فكثيراً ما استخدمت الدول الجاسوسية لتأمين حدودها وحراسة ثغورها ورصد مخططات أعدائها، وترويعهم وإرهابهم وبث الشقاق والفرقة في صفوفهم، وتجنُّب مكائدهم وكمائنهم، ووظفت السلطات الجاسوسية لتعزيز قبضتها على السلطة، وإحكام سيطرتها على الرعية، وقمع الثورات والفتن، وردع العُصاة والمخالفين[7].

ومن أغراض الجاسوسية الرقابة على الأسواق والتجار والصُناع، ومراقبة الولاة وقادة الجُند وكبار الموظفين لضمان قيامهم بمهامهم على أكمل وجه، ومنعهم من التربح واستغلال مناصبهم، ومحاربة كافة صور تبديد وهدر الأموال العامة[8] فضلاً عن الغرض الرقابي؛ فإن هناك أهداف اقتصادية للجاسوسية، فكثيراً ما انغمس بعض الأفراد بالعمل الجاسوسي بقصد الطمع وحُب المال، ولا ننسى أن المدن التجارية الغربية نشطت في جمع المعلومات المتعلقة بالنشاط الاقتصادي للبلدان الشرقية بهدف امتلاك زمام التجارة العالمية والهيمنة على مصادرها وطرقها[9].

وثمة مقاصد أخرى للجاسوسية لا تقل أهمية عن سابقتها؛ فالهدف المعرفي للجاسوسية لم يكن غائباً، فقد حرصت الدول في عصر الحروب الصليبية على جمع أكبر قدر من المعلومات السرية حول صناعة أسلحة الأعداء وسفنهم وخرائطهم وجغرافية بلدانهم وإمكانياتهم الاقتصادية، وقدراتهم الحربية البرية والبحرية [10] ولا ريب أن الأغراض الشخصية كانت محركاً مهماً للجاسوسية، فحب الفضول ومعرفة الأخبار والأسرار طبع مُتأصل في النفس البشرية، إذ هام بعض الحكام في تتبع الأحوال الشخصية لأقرانهم وقادتهم ورعيتهم في ليلهم ونهارهم، وهزلهم وجدهم، وتوسعوا في انتهاك خصوصياتهم، وكشف أسرارهم، وهتك أستارهم؛ لإشباع نهمهم الفضولي[11] كما أن الصراع بين المسلمين وأعدائهم من الصليبيين والتتار صبغ الجاسوسية بصبغة دينية، باعتبار أن الجواسيس قاموا بواجب ديني لحماية الأرض والعرض والمقدسات.

مواصفات الجواسيس – مهامهم– مراتبهم – تنكرهم

كان اختيار العاملين في السلك الاستخباراتي يتم وفق صفات وخصائص معينة، فلابد أن يكون الجاسوس ذا حيلة ودهاء وصبر وتحمل، وأن يكون من أهل الفراسة والفطنة والذكاء، مُتصف بالحذر والكتمان، مُتخلق بالصدق والوفاء والأمانة، وعلى قدر كبير من الفروسية والشجاعة، مُعافى من أمراض الصمم والسعال وضعف البصر، وأن يكون مُحباً للاستطلاع والفضول، وعلى دراية بالأسفار ومعرفة بالبلدان، واتقان للغات، وخبرة بطبائع البشر[12] فضلاً عن على التمثيل والتنكر والتلون والتأقلم والتكيف مع مختلف الضغوط والتحديات، والتحلي بالمسؤولية والثبات، والقدرة على التركيز والتحليل والتقييم، وامتلاك مهارة بناء العلاقات، وإدراك قيمة الوقت، وترتيب الأولويات، والقدرة على مواجهة الظروف الصعبة.

وللجواسيس مهام ووظائف كثيرة منها، جمع معلومات عن خطط الأعداء ومكائدهم وتكتيكاتهم وقادتهم واستعداداتهم وتحركاتهم ومراسلاتهم ورموزهم وإشاراتهم وتشكيلاتهم وأسلحتهم في أحوال الهجوم والدفاع، وتنفيذ مهام الاغتيالات، والقيام بعمليات خاصة لتحرير الأسرى، وخلخلة صفوف الأعداء بالتخذيل والتثبيط، وإحباط مخططاتهم وتتبع وكشف شبكاتهم التجسسية[13].

كانت الأجهزة الاستخباراتية في زمن الحروب الصليبية منظمة تنظيماً دقيقاً على شكل هرمي من القاعدة إلى القمة، إذ يقبع في أسفل الهرم التنظيمي شبكة واسعة من العملاء والجواسيس المبثوثين في أطراف الدولة وأقاليمها وبلداتها ومؤسساتها مرتبطين مباشرة بنقبائهم ورؤسائهم في حواضر الولايات، والذين بدورهم يتبعون ديوان الإنشاء أو البريد أو صاحب الخبر في عاصمة الدولة، وهو المشرف المباشر على كافة أنشطة أجهزة الاستخبارات، وعليه موافاة حاكم الدولة بأهم التقارير الاستخباراتية [14] فعادةً ما ترتبط الأجهزة الاستخباراتية بالقيادة العليا مباشرة في الماضي والحاضر، ومن المرجّح أنه لم

يكن هناك فصل بين الاستخبارات الخارجية والداخلية، كما أن شبكات الاستخبارات الخارجية كانت مرتبطة مباشرة بصاحب الخبر بخلاف شبكة الجواسيس المحلية التي كانت خاضعة للعديد من المستويات التنظيمية، ومن غير المُتصور عرض كافة التقارير الاستخباراتية على قائد الدولة، والظاهر أن مسؤول الاستخبارات كان يُقدم مستخلصاً وافياً لأهم المعلومات الاستخباراتية، ويُمكِنه تزويد الحاكم بالأخبار الهامة والعاجلة في أي وقت من ليل أو نهار، ويحق له إدخال الجواسيس ذوي المهام الخاصة لمقابلة السلطان.

وتفنن الجواسيس في إتقان وسائل الرصد والتنكر والتخفي، وتلونوا بمختلف الأسماء واللبُوس والهيئات؛ إذ كانوا يتخفون تحت ثياب الزهاد والعباد والمتصوفة والدراويش، أو في هيئه المتسولين والمعدمين والمستغيثين والمظلومين والمُشردين، وتنكروا في ثياب الخدم والحرس والنساء وسائسي الخيول وبائعي الأدوية، وتخفوا كجمالين وحمالين، وتقمصوا شخصيات التجار والسُياح والرحالة والحجاج، وتزيَّوا بزى الجند، ولعبوا دور التلميذ الباحث عن العلم، والمعلم المنهمك بتلقين الصبيان، والناسك المعتكف في مسجده، والراهب المتقوقع في صومعته[15].

وكثيراً ما تنكر جواسيس الصليبيين بزي العربان والتركمان، وتشبه جواسيس المسلمين بهيئة الفرنجة وأشكالهم وأزيائهم وأسمائهم[16] ويُحتمل أن تكون قرارات السادة المسلمين والفرنجة بتمييز ملابس رعاياهم المغايرين لهم بالدين[17] ذات بُعد استخباراتي فضلاً عن البعد الديني، فكلا الجانبين راودته الشكوك بمدى إخلاص أولئك الرعايا لسُلطات بلادهم.

ولا شك أن التأصيل الشرعي لمبدأ التقية[18] الذي تأخذ به بعض الفرق الشيعية قد مهد الطريق لبروز الإسماعيلية النزارية في فن الجاسوسية زمن الحروب الصليبية، لإفساحه المجال لهم في التلون والتخفي في الأوساط السُنية والفرنجية، فالجاسوس النزاري لا يتحرج في التمظهر بالسنية بين أبناء المجتمع السني، والتستر بالنصرانية في الوسط الصليبي، وكل ذلك تحت غطاء الدين ومبررات الشريعة.

الفئات التي عملت في الجاسوسية :

انخرطت فئات عدة في الأنشطة الجاسوسية من قمة المجتمع إلى قاعدته [19] ويمكن القول إن مجمل من انضم إلى الأجهزة الاستخباراتية ينتمون إلى فئات المجتمع الدنيا، لكن هذا لا ينفي انخراط أفراد من الشرائح العليا في النشاط الاستخباراتي، فمن الصعوبة اختراق ذوي السلطة والنفوذ من غير أبناء شريحتهم ذاتها، ومن المحتمل عزوف خيار الناس وفضلائهم عن مهنة الجاسوسية التي لم تحظ بكثير من الاحترام عند عامة الناس.

وتفننت أجهزة الاستخبارات زمن الحروب الصليبية في انتقاء مُخبريها من مختلف الشرائح المجتمعية، منهم وجهاء وأعيان وقادة وجُند ورعاة وفلاحين وتجار وباعة متجولين ومتصوفة ورهبان ومتسولين وسفراء ورحالة وحجاج وشعراء ومعلمين وأسرى ولاجئين ومستأمنين وخدم وصبية ونساء.

وتعتبر الأقليات الدينية والعرقية من أهم الفئات التي حامت حولها الشكوك بالعمل لصالح استخبارات القوى المتصارعة زمن الحروب الصليبية، فقد سارعت فئات من الأرمن والموارنة والسريان والروم الأرثوذكس للترحيب بالصليبيين، وعملوا معهم أدلاء ومرشدين ومترجمين ومحاربين، وقدموا لهم معلومات وأسرار مهمة عن خطط المسلمين وامكانياتهم العسكرية[20] ومع ذلك لم يثق الفرنجة بتلك الفئات التي لم تكن تختلف كثيراً عن المسلمين في زيهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم؛ لذلك كثيراً ما وجهت لهم أصابع الاتهام بالتجسس لحساب المسلمين[21] ويبدو أن بعض الفئات من المسيحيين الشرقيين امتهنت الجاسوسية المزدوجة لصالح الأطراف الصليبية والإسلامية لدواعي انتقامية واقتصادية ودينية.

ولم ترصد المصادر دوراً بارزاً لليهود في العمل الاستخباراتي لصالح الفرنجة أو المسلمين، غير أن امرأة يهودية ساعدت جنود نور الدين زنكي في تسلق سور مدينة دمشق عام 549هـ/ 1154م[22] كما أن مراسلات بقايا الفاطميين مع الفرنجة للتآمر على صلاح الدين في عام 569هـ / 1174م كُتبت بخط شخص يهودي[23] واخترقت مخابرات صلاح الدين الأوساط الدينية المسيحية واليهودية بعناصر من داخلها للتعرف على خيوط مؤامرة الفرنجة مع المُتضررين من القضاء على الخلافة الفاطمية[24] لكن يمكن القول إن الموقف اليهودي كان أقرب إلى المسلمين منه إلى الصليبيين الذين أذاقوهم الويلات زمن الحروب الصليبية.

وتجدر الإشارة إلى أن فئات عدة من مُسلمي الأراضي المحتلة عملوا عيون وجواسيس لقادة الجهاد الإسلامي، ورصدوا مخططات الفرنجة وتحركاتهم[25] وهو ما حدا بالمؤرخ الصليبي وليم الصوري إلى القول "ليس هناك وباءً أكثر فتكاً بالمرء وأشنع فاعلية من عدو داخل بيته"[26] والحقيقة أن هذا الوصف يمكن أن توصف به جميع الفئات السكانية الشامية المحلية التي استجابت لرابطة الأخوة الدينية التي تغلبت على كل صلة سواها.

ومما يؤكد تلك الحقيقة أن بعض المتحولين إلى الإسلام أو المسيحية كانت لديهم قابلية كبيرة للتعاون سواء مع أبناء ملتهم الجديدة أو القديمة[27] وهو ما فطنت اليه الأجهزة الاستخباراتية في عصر الحروب الصليبية، فحرصت على تجنيد أولئك المتحولين لاطلاعها على خفايا وأسرار قومهم وبلادهم؛ ونتيجة أيضاً لقدراتهم اللغوية واتساع علاقاتهم الاجتماعية.

واستغلت القوى الصليبية المُنظمات الناشطة في الحقل التنصيري للقيام بأنشطة تجسُسية، واستطاع رهبان تلك المُنظمات إمداد الفرنجة بخارطة واضحة للأوضاع السياسية والعسكرية والاجتماعية في البلاد الإسلامية، وكانوا بمثابة حلقة وصل بين ملوك الحبشة والقوى الصليبية الطامعة في تطويق البلاد الإسلامية[28].

واستفادت القوى الإسلامية والصليبية من الرهبان والزُهاد والحجيج للحصول على معلومات استخباراتية لم يكن بمقدور تلك القوى الحصول عليها بدون تلك الفئات الدينية التي اعتادت الطواف في البلدان دون أن تثير الريبة[29].

وكما مُورست الجاسوسية تحت ستار الحج والرهبنة والتصوف، نشطت أيضاً تحت غطاء التجارة والدبلوماسية؛ إذ تمتع التجار والقصاد في ذلك العصر بوضعية ممتازة، ومنحوا نوعاً من الحصانة تُسمى حق الأمان بموجب ميثاق أو عهد، وبمُقتضاها يحق للمستأمن الإقامة والمرور والتنقل دون عوائق، لكن وضعية التجار والسفراء التي حظيت بالكثير من التقدير والاحترام وظفت أحياناً للقيام بأنشطة تجسسيه بدواعي السفارة والتجارة، فالعديد من السفارات التي تبادلتها الأطراف الإسلامية والصليبية والمغولية كان لها أبعاد استخباراتية[30] لذلك لم يكن عماد الدين زنكي يسمح للسفراء والمبعوثين بالاختلاط مع رعيته، فكانوا يدخلون بلاده ويخرجون منها دون أن يحيطوا بأحوالها وأخبارها[31].

ولم يقتصر العمل التجسسي على تلك الفئات فحسب، بل زاولته شرائح أخرى كالعوامين والرُعاة والجند والخدم وحاشية الحكام وبطانتهم[32] وكان عماد الدين زنكي يمنع خدمه وعماله الذين استغنى عن خدماتهم من مغادرة بلاده حتى لا يُفشُوا أسرارها ويدُلوا على عوراتها ويُطمعوا الأعداء فيها[33] كما أُستقطب كَتَبَة وتراجمة الدول للعمل الاستخباراتي نظراً لقدراتهم اللغوية ومواقعهم الحساسة ووظائفهم المرموقة التي تمكنهم من الاطلاع على خبايا الدول وأسرارها ومراسلاتها[34].

وكثيراً ما أُستُجوب الأسرى على أيدي الأجهزة الاستخباراتية[35] التي اعتبرتهم منجماً خصباً للمعلومات، خصوصاً عندما يكونون من عيون الجيش المُعادي وطلائعه، وفي الوقت نفسه كانت الاستخبارات تتخذ كافة الاحتياطات الضرورية تجاه أولئك المأسورين خشية تجسُسهم على آسريهم أو يتم تصفيتهم، فقد أمر صلاح الدين بقتل أسرى الطلائع الصليبية التي توغلت في البحر الأحمر وحاولت غزو الحجاز عام 578هـ / 1182م "لأنهم ظهروا على عورات الإسلام وكشفوها... وبحيث لا يعود منهم مُخبر يدل الكفار على عورات المسلمين"[36].

وفي الحقيقة لم يكن بإمكان تلك الطلائع الصليبية الوصول إلى مسالك البلاد الحجازية بدون مساعدة بعض الأعراب الذين ارتضوا لأنفسهم العمل مع الفرنجة كأدلاء ومُرشدين، وتمادى أولئك العربان في عمالتهم خلال وقائع الحملة الصليبية الثالثة، وعاهدوا ملك انجلترا ريتشارد قلب الأسد على "أن يخلصوا في خدمته وأن يكونوا عيوناً يخبرونه على الدوام بتحركات صلاح الدين وبكل ما يجري في بلاد المسلمين"[37] ولم يكن صلاح الدين غافلاً عن جاسوسية البدو، وشن حملات تأديبية ضدهم، ووصفهم بأنهم "آفة على المسلمين ودليلاً للكفار على المسلمين"[38].

ومع أن البدو قدموا كثيراً من الخدمات الجاسوسية للعديد من قادة الحملات الصليبية كبلدوين الأول Baldwin I رينو دي شاتيون Renauld de Chatillon وريتشارد قلب الأسد Richard the Lion–Heart ولويس التاسع Louis IX[39] إلا أنهم عملوا أيضاً لحساب الزنكيين والأيوبيين والمماليك[40] وفي كل الأحوال لم يكن البدو مخلصين سواءً للجيوش الاسلامية أو الصليبية، بل استغلوا معرفتهم بالطرق والدروب للانتفاع والاسترزاق، وباعوا خبراتهم الاستخباراتية لمن يدفع أكثر.

ولم يكن أعراب الترك أفضل حالاً من عربان العرب؛ إذ نجح الفرنجة في كسب طائفة من الترك أُطلق عليها أسم التركبول، جُندوا في مهام الاستكشاف[41] واستفاد المسلمون أيضاً من المهارة الاستطلاعية للتركمان في رصد تحركات الفرنجة[42].

وفاق الفداوية النزارية غيرهم في تنظيماتهم السرية المحكمة، وقدراتهم التنكُرية الهائلة، وخبراتهم الجاسوسية العالية، ووظفوها ببراعة في إرهاب خصومهم واغتيال أعدائهم، واستفادت القوى السنية والفرنجية من برامجهم وأنشطتهم التجسسية[43].

وجُندت النساء العجائز والشابات في مجالات العمل التجسسي، والظاهر أن النساء العجائز[44] لديهن معرفة كبيرة وخبرات طويلة بحكم أعمارهنّ، وبإمكانهنّ الطواف في البيوت، وتفقد أحوال الناس دون أن يلفتن الانظار ويُثرن الاهتمام، وباستطاعة الشابات الحسناوات الاسهام في الحروب الاستخباراتية لإنوثتهنّ الفاتنة، وقدراتهنّ الفائقة على الجذب والايقاع، ولطالما حذرت الدول رجالها وسفرائها من الوقوع في حبائل النساء وحيلهن الجاسوسية[45].

وتُوحي الكتابات الصليبية أن كربوغا استخدم النساء للإيقاع بالفرنجة أثناء حصاره مدينة أنطاكية في رجب 491هـ / يونيو 1098م[46] وهو أمر لا يمكن تأكيده في ضوء عدم توافر معطيات ودلائل ترجح هذا الاتهام.

ووقع أمير الرها جوسلين الثاني في شباك الأسر في أثناء خلوته تحت شجرة بمسبية تركمانية أسرها بعد إغارته على طائفة من التركمان عام 545هـ / 1150م[47] وتُشير المصادر إلى أن قومها كانوا مُوعودين من قبل نور الدين زنكي بالكثير من "الإقطاع والأموال إن هم ظفروا بجوسلين إما قتلاً أو أسراً"[48] وكان الأمير الصليبي معروفاً بالانغماس في الملذات [49] ومع أن تلك المؤشرات توحي بأن جوسلين سقط أسيراً؛ نتيجة لُعبة استخباراتية، لكن من المُستبعد تسخير التركمان لتلك الفتاة لاصطياد جوسلين، لأن هذا الأمر لا ينسجم البتة مع تعاليم الدين الإسلامي، ولا يتفق أيضاً مع ما عُرف عن التركمان من حميّة للدين، وغيرة على العرض.

وفي المقابل يتهم المسلمون الفرنجة بنصب خيام للنساء الساقطات بالقرب من المعسكرات الاسلامية[50] وهو أمر يمكن إدراجه ضمن الأنشطة الجاسوسية المعادية الهادفة لحرف مسار الجهاد الاسلامي، وإشغال المسلمين في معمعة الرغبات والشهوات.

واستخدمت النساء من الفئات العليا والدنيا في الأنشطة الاستخباراتية، فكثيراً ما نسج القادة ذوو الطموح صلات مع حريم الملوك والسلاطين وجواري القصور ذوات الفطنة والذكاء للتجسس على أزواجهنّ وسادتهنّ، واطلاعهم بكافة الدسائس والمؤامرات التي تحاك في القصور السلطانية[51].

وتعتبر سبيلا Sibylla زوجة بوهيمند الثالث Bohemond III أمير أنطاكية (559 – 598هـ/ 1163 – 1201م) مثالاً لاستقطاب الجاسوسية فئات المجتمع العليا؛ إذ نجح السلطان صلاح الدين في كسب ودها، فصارت "عيناً له على العدو تهاديه وتناصحه وتطلعه على أسرارهم"[52] فسربت كثيراً من خططهم وتحركاتهم، وكشفت عوراتهم ومواطن ضعفهم.

واستقطبت الجاسوسية نساء من الشرائح الدنيا والوسطى، من المتدينات وغير المتدينات؛ إذ اعتمدت مخابرات الملك ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion-Heart على جاسوسة مقدسية مُتدينة زودته بأسرار مدينة القدس في أثناء تفكيره في محاصرتها عام 587هـ / 1191م[53] ومع أن تلك المرأة كانت "امرأة متدينة... وكانت سُورية من حيث البلد، وكانت قد سكنت في مدينة القدس"[54] لكن لا نعرف على وجه الدقة إن كانت تلك المرأة تنتمي إلى جماعة رهبانية؟ وما هي أصولها؟ وما إذا كانت مسيحية شرقية أم مُستوطِنة صليبية؟.

وأدركت مخابرات المعظم عيسى الأيوبي أهمية العمل الإستخباراتي النسوي، واستطاعت تجنيد عناصر نسوية فرنجية، فقامت نساء خيالة الفرنج في مدينة عكا برصدِ أعدادِ الجيوش الفرنجية ووجهتِها وتحرُكاتِها[55] في حين تكفّلت إحدى الحسناوات الفرنجيات التي كانت على صلة حميمة بمندوب الإمبراطور الألماني فردريك الثاني في البلاد الشامية بكشف محتوى مراسلات الإمبراطور مع مندوبه المكلف بالتهيئة لقدوم الحملة الصليبية السادسة[56] ويبدو أن المعظم عيسى أدرك بجلاء أن قدرات النساء تفوق بكثير قدرات الرجال في الحيل والمهام التجسسية لطغيان أنوثتهنّ وسحر جمالهنّ، لذلك أمد جهازه التجسسي بدماء نسوية من جميلات الفرنج ذوات العيون الزرقاء والشعر الأشقر.

الفئات المستهدفة بالجاسوسية وأوقات التجسس وأماكنه:

استهدفت الجاسوسية الأعداء والأصدقاء في الداخل والخارج، فقد حرص الملوك والحكام على الإحاطة بأخبار رعيتهم وأفراد حاشيتهم وقادة جيشهم وجنودهم، وتفحص أحوال الأمراء والولاة والعمال والقضاة وأمناء الخزانة، واهتموا بأخبار الأقارب والأباعد، وسائر الطوائف الدينية والجماعات المحلية[57] وتجسس بعض القادة والحكام المسلمين على سلاطينهم وخلفائهم[58].

وحرصت الدول على تتبع أخبار العصاة والمتمردين والفرق الهدامة، واهتمت الاستخبارات الإسلامية باستطلاع أخبار أعداء المسلمين من الفرنجة والمغول والأرمن والأحباش[59] وقامت الاستخبارات الصليبية والمغولية بنفس الدور الذي لعبته الاستخبارات الإسلامية.

نشطت الحركة الجاسوسية في أوقات السلم والحرب، وقبل المعارك العسكرية والحملات البرية والبحرية وبعدها، وفي أثنائها،، وفي مواسم الأسواق والتجارة والحج، وفي مناسبات الأعياد والاحتفالات، وينشط الجواسيس في غدوات النهار وهواجره، وفي أول الليل وعتمته، وفي أحرّ أوقات الصيف، وأبرد ساعات الشتاء[60].

وعادةً ما يتم بث الجواسيس في أطراف الدولة وثغورها، وفي معاقل الأعداء وحواضرهم، وداخل المعسكرات وحولها، وفي السواحل والموانئ المهمة، وفي سفن ومراكب الأعداء والأصدقاء، وفي الصحاري والقلاع والأماكن المرتفعة، وفي الأسواق وطرق القوافل ووكالات التجار ومحطات البريد، وفي قصور الخلفاء ودواوين الأمراء والوزراء، وفي المنتزهات وأماكن الصيد، وفي نُزل الغرباء والسفراء، وفي الحمامات والخانات والفنادق ودُور العبادة[61] ولم تصرَّح المصادر باستخدام بيوت الدعارة ودُور البغاء أداة للتجسس ربما لوفرة الأسيرات والجواري في ذلك العصر.

وسائل نقل المعلومات الاستخباراتية :

نُقلت المعلومات الاستخباراتية في عصر الحروب الصليبية بوسائل جوية وبرية وبحرية، وبالإشارات الضوئية والدخانية والصوتية، فعبر البريد الجوي المُتمثل بمحطات أبراج الحمام الزاجل نُقلت الرسائل الاستخباراتية العاجلة بسرعة فائقة ولمسافات بعيدة[62] وتعتبر البغال والجمال والخيول السريعة والمدربة من أهم وسائل البريد البري لنقل الأخبار والمعلومات[63] كما استخدمت السفن والمراكب والغواصين لتبادل المعلومات الاستخباراتية بين المحطات الساحلية[64] ويقوم المنورون بإشعال النيران في المحارس والمناور الموجودة على قمم الجبال لإرسال إشارات تحذيرية ضوئية في الليل ودخانية في النهار، وكان دق الطبول ونفخ الأبواق وسيلة مهمة لإرسال إشارات صوتية للاستغاثة، وتنبيه أهالي المدن المجاورة من غارات الأعداء المفاجئة[65].

حروب الجاسوسية الصليبية الإسلامية المغولية :

اهتمت كل الدويلات الإسلامية في عصر الحروب الصليبية بالجاسوسية ابتداءً بالسلاجقة والفاطميين مروراً بالزنكيين والأيوبيين، وانتهاءً بالسلطنة المملوكية، ومع ذلك تفاوت اهتمام هذه الدول بالجاسوسية، فالاستخبارات الإسلامية كانت متواضعة في بداية الحروب الصليبية مقارنةً بما وصلت إليه في أواخر الحروب الصليبية.

فقد أخفقت جاسوسية الأمراء السلاجقة في شمال بلاد الشام ووسطها في الإحاطة بالمخططات الصليبية ومؤامرات المسيحيين الشرقيين لتسليم المدن الإسلامية إلى القوات الغازية؛ إذ عجزت الجاسوسية الإسلامية عن اكتشاف مؤامرة فيروز الأرمني مع بوهيموند النورماني Bohemond Norman التي أدت إلى خسارة المسلمين مدينة أنطاكية[66].

ويبدو أن الجاسوسية الفاطمية في مدن جنوب الشام وساحلها لم تكن أفضل حالاً من الجاسوسية السلجوقية، فرغم اجتهاد الجواسيس الفاطميين في تتبع أخبار الفرنجة وتحركاتهم العسكرية[67] إلا أن ضعف الاستجابة الفاطمية للتحدي الصليبي مع قلة فعالية الاستخبارات أدى إلى نكسات متوالية للقوات الفاطمية أمام الجيوش الصليبية.

والواقع أن انشقاق الفاطميين إلى مستعلية ونزارية، وتفكك القوى السلجوقية، فضلاً عن الحروب السلجوقية الفاطمية استهلك كثيراً من الطاقات الاستخباراتية في تلك الحروب البينية مما انعكس سلباً على قدرات الاستخبارات الإسلامية في مواجهة الخطر الصليبي.

وشهدت الاستخبارات الإسلامية تطوراً كبيراً في العصر الزنكي؛ إذ اعتنى كل من عماد الدين زنكي وابنه نور الدين في جمع أدق التفاصيل عن القوى الصليبية والقوى الإسلامية المتحالفة معها، وبثت الدولة في عهدهما عيونها وجواسيسها في مدن الدولة وحصونها وحواضر البلاد المجاورة لرصد أخبار الأعداء والأصدقاء، وتتبع أخبار الرعية والملوك والأمراء وبفضل تلك اليقظة الاستخباراتية لم يخف على الدولة الاطلاع على دقائق الأمور وجليلها، علانيتها وسرها[68].

وأدركت الدولة الأيوبية في عهد صلاح الدين وخلفائه أهمية جهاز الاستخبارات فنظمته ووفرت له كافة الإمكانيات، وأمدته بأفضل الكفاءات، فأجهض مؤامرات النزارية وبقايا القوى الفاطمية والزنكية، ورصد الاستعدادات الصليبية وأحبط مخططاتها[69].

ووضعت الدولة المملوكية نظاماً دقيقاً للجاسوسية امتاز بالمهارة والكفاءة، فتوافر لها كثير من المعلومات التي جُمعت عبر شبكة من الجواسيس المُدربين في كافة شئون الاستخبارات، فرصدت الدولة مخططات أعدائها في الداخل والخارج، خصوصاً مع تعاظم الأخطار الخارجية ممثلة بالقوى الصليبية والمغولية والأرمنية والحبشية[70].

واهتم السلطان بيبرس بالنشاط الاستخباراتي، وعين سيف الدين بلبان الرومي مستشاراً خاصاً به للشئون الاستخباراتية يُعنى "بتدبير أمور القصاد والجواسيس والمكاتبات لا يشاركه في ذلك وزير ولا نائب سلطنة"[71] وتفننت استخبارات بيبرس في ابتكار وتنويع الوسائل والخدع الاستخباراتية، مثل تزوير الخطابات، وتسريب معلومات مغلوطة إلى الأعداء، وكشف الشبكات الجاسوسية المعادية، والإيقاع بالملوك والأمراء المتسللين خُفية إلى بلاده، والحرص على الكتمان في اتخاذ القرارات المصيرية والتحركات العسكرية[72].

والأمر المثير للدهشة أن بيبرس لم يكتفِ بتنظيم جهاز الاستخبارات، وتعيين مساعدٍ له لشئون الجاسوسية، بل مارس بنفسه النشاط الاستخباراتي، وأجاد فن التخفي والتنكر في مختلف الأماكن والأوساط، وتحسس أخبار رعيته وجنده وولاته وعماله[73] وحافظت المخابرات المملوكية على نشاطها

وحيويتها في عصر أسرة قلاوون التي أولت خيل البريد والحمام البطائقي الكثير من اهتمامها، وكان لها عيون ونصحاء في الحاضرة الصليبية عكا على رأسهم جوان خندق الفرنجي[74].

وامتلك الفرنجة جهازاً استخباراتياً منظماً ودقيقاً أسهم بشكل فعال في قيام وتوسع الإمارات الصليبية وتحقيق انجازات نوعية للصليبيين على حساب المسلمين؛ إذ حرص الفرنجة على التقاط كافة المعلومات عن أحوال القوى الإسلامية ونقاط ضعفها وقوتها معتمدين على جهاز استخبارات قوي استعان بشبكة من العملاء المسلمين والمسيحيين المحليين[75].

ومما يدل على تطور نظام الجاسوسية الصليبية وشدة عناية الفرنجة بمعرفة الأحوال الإسلامية، رسالة صليبي أنطاكية إلى حاكم حلب عز الدين مسعود البرسقي يخبرونه باغتيال والده آق سنقر البرسقي عام 520هـ / 1126م بمدينة الموصل قبل وصول الخبر إليه[76].

وفضلاً عن الأجهزة الاستخباراتية التابعة للمستوطنين الفرنجة في البلاد الشامية، كان لقادة الحملات الصليبية القادمين من الغرب شبكاتهم الجاسوسية الخاصة بهم، فقد اعتمد كل من ملك انجلترا ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion-Heart في الحملة الصليبية الثالثة، وملك فرنسا لويس التاسع في الحملة الصليبية الخامسة على خدمات جواسيسهم المُندسين في الأوساط الإسلامية[77].

ومن الطبيعي أن يمتلك الفرنجة جهازاً تجسسياً منظماً مقارنةً بالقوى الإسلامية نظراً لحالة الثبات والاستمرارية التي اتسمت بها النظم السياسية والحربية الصليبية خلافاً لأوضاع الدويلات الإسلامية التي شهدت عمليات صعود وهبوط متوالية، فضلاً عن حالة التحفز الصليبي بسبب شعورهم الدائم بالتحدي الإسلامي الذي يهدد بقاءَهم في المنطقة، فضلاً عن تراكم الخبرات الاستخباراتية لدي الفرنجة، واستفادتهم من التجارب الجاسوسية الأوربية والبيزنطية والإسلامية.

وظهرت الجاسوسية المغولية على مسرح الشرق الأدنى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي مستهدفة الجانبين الإسلامي والصليبي، وامتازت شبكة المُخبرين المغولية بالتنظيم المحكم والدقة الفائقة في التقاط المعلومات وحُسن توظيفها[78].

ونشطت الجاسوسية المتبادلة بين القوى الصليبية والإسلامية والمغولية، وحاولت كل تلك القوى مكافحة الاستخبارات المُعادية واستقطاب جواسيسها "بالاستمالة والبر وكثرة البذل"[79] لإبطال مخططاتها وتوهين عزائمها وإفشال مؤامراتها، ولجأت القوى المتصارعة إلى ترهيب جواسيس الأعداء وملاحقتهم وحبسهم أو إعدامهم، فقد ضاق بوهمند النورماندي بكثرة جواسيس المسلمين المندسين بين القوات الصليبية المُحاصرة لمدينة أنطاكية عام 491هـ / 1098م، فقام بشنق وشوي بعض الأسرى المسلمين مُشيعاً أنهم من الجواسيس، مما أدى إلى ذُعر وفرار المُخبرين الحقيقيين الكامنين في المعسكر الصليبي[80].

وكان مُخبري وقُصاد الاستخبارات الإسلامية في الأراضي الصليبية والمغولية يُطلعونها على أسرار وتحركات القوات الصليبية والمغولية[81] وفي الوقت نفسه لم يكن باستطاعة الاستخبارات الإسلامية منع وكلاء الاستخبارات المعادية من اختراق النسيج السكاني للدول الإسلامية وتجنيد جواسيس لصالحها.

ففي أثناء حصار السلطان بيبرس لحصن القرين (مونتفورت)– في الجليل الأعلى شمال فلسطين – عام 669هـ / 1271م تمكن من رمى طائر يحمل رسالة كتبها جاسوس ضمن جُنده تحتوي على أخبار العسكر الإسلامي، فسلم بيبرس الرسالة لرُسل فرنج عكا قائلاً لهم "هذه البطاقة كتبها إليكم جواسيسكم.... ونحن نفرح بمن يخبركم بأخبارنا"[82] فحرب الجواسيس كانت مشتعلة بالتوازي مع الحروب العسكرية والمنافسات السياسية، وكان هناك تجسس وتجسس مضاد، وجاسوسية هجومية وجاسوسية وقائية.

الاحتياطات في التعامل مع الجواسيس – مكافآتهم – عقوباتهم :

من الاحتياطات التي حظيت بالاهتمام بها في العمل الاستخباراتي، انتقاء الحاكم أو من ينوب عنه أفضل من تتوافر فيهم الصفات الملائمة للعمل التجسسي، وينبغي تكليف نقباء لمراقبتهم والإشراف عليهم ليقوموا بمهامهم على أكمل وجه، وتوصية الجواسيس بالحرص على استقاء الأخبار من منابعها، وتكليف أكثر من جاسوس في المهمة الاستخباراتية الواحدة، وإرسال أكثر من رسول أو حمامة لنقل المعلومات الجاسوسية، والحرص على ألا يعرف أحد بالمهام المكلفين بها، والاحتراز من معرفة الجند بالجواسيس أو تعريف الجواسيس ببعضهم خشية انكشاف أمرهم أو تواطوئهم ومماألأتهم للعدو، ولابد من تذكير الجواسيس دائماً بمنزلة الأمانة، وعاقبة الخيانة في الدنيا والآخرة، وغرس خوف الله في نفوسهم فهو عِصمة من كل سوء[83].

ويُفضّل التلطف في معاملة الجواسيس، وحُسن الإصغاء اليهم، والتغافل عن زلاتهم، والبعد قدر الإمكان عن سوء الظن بهم، وتجنب تقريعهم أو تكذيبهم مع عدم التهاون في التثبت والتبين من مصداقية أخبارهم، والحذر من معاقبتهم خوفاً من تحولهم إلى عيون للأعداء، وتفحص أخبار الجواسيس الذين ينتمون إلى نفس جنس العدو، والتيقن من معلوماتهم خشية مخامرتهم لقومهم، ويجب الاحتراز من إرسال السفراء الجواسيس إلى قادة الأعداء مرات متكررة خشية تصيُدهم بالإحسان والأموال، والاحتياط من تسرب أسرار الدولة إلى العامة، والحذر من نقل استعدادات العدو وتجهيزاته الكبيرة إلى الجند في المعركة، فتضعف نفسياتهم وتنهار معنوياتهم، وتنبيه الجواسيس إلى اجتناب المُسكرات فإنها تفضح شاربها، والبُعد عن استدراجات النساء ومكايدهنّ فإنها تذُل صاحبها[84] ولا بد من تنويع مصادر المعلومات الاستخباراتية السرية والعلنية، والحذر ممن تظهر عليهم مظاهر الغنى فجأة بصورة لا تتناسب مع مداخيلهم، ويستوجب العمل الاستخباراتي تفرُغ الجواسيس لمهامهم المكلفين بها.

ولضمان نجاح العمل الاستخباراتي لابد أن تُخصص له أموال كافية من خزانة الدولة، ويجب العناية بالجواسيس وإجزال العطاء لهم، وتعاهدهم بالصلات والمكافآت، واكرامهم بالعطايا والمرتبات، وترفيعهم في المناصب والترقيات، والبذل لهم في المصائب والمسرات، والإحسان إلى أهاليهم عند غيبتهم لتطييب خواطرهم وتملك قلوبهم[85].

واعتنى القادة والحكام بالنشاط الاستخباراتي في عصر الحروب الصليبية، وكان عماد الدين زنكي "يغرم على ذلك المال الجزيل"[86] في حين اهتم نور الدين محمود بتوفير كافة متطلبات الحمام الرسائلي، وأجرى الجرايات لها ولأربابها، وأمر بإعزاز أصحابها[87] وأكرم صلاح الدين الأيوبي مخبرته الفرنجية سيبلا وأهدى لها "أنفس الهدايا"[88] وغمر المعظم عيسى الأيوبي جاسوسيته النسوية بالعطايا الكثيرة والجوائز الوفيرة[89] واستمال بيبرس جواسيسه بالتحف والهدايا وكان "يغرم عليهم الأموال الكثيرة"[90] وبلغ من عناية المسلمين بالجاسوسية ترقية الجواسيس المحترفين في مناصب الدولة، ورصد أوقاف مخصصة للبريد[91] وحظي المنخرطون في السلك الجاسوسي الفرنجي والمتعاونين معهم بالرعاية والعناية، وأُغدقت عليهم الأموال الطائلة مقابل الخدمات التي يؤدونها[92] فلو لم يتم إكرام الجواسيس بسخاء لتمكنت الأطراف المُنافسة والمُعادية من شراء خدماتهم الجاسوسية بالأموال والعطايا المضاعفة، كما أن إغداق الأموال على الجواسيس يُمكنهم من استقطاب وشراء قادة الدول المعادية بالتحف المُستظرفة والهدايا المُستطرفة.

ومثلما اعتنت الدول والممالك بالجاسوسية الهجومية الإيجابية فكذلك اهتمت بمكافحة الجاسوسية أو ما سُمى بالجاسوسية الوقاية، وعادةً ما كان يتم رصد جواسيس الأعداء وتعقبهم واعتقالهم واستجوابهم وضربهم وتعذيبهم وسجنهم أو فرض عقوبات متفاوتة عليهم.

وتختلف عقوبة الجاسوسية باختلاف الحكام والممالك، ووفق ظروف الحرب والسلم، وبحسب ديانة الجاسوس ووضعيته القانونية، فيُحكم بقتل المستأمن إذا ثبت تجسسه لأعداء الإسلام "ولا يبالى بأمانه"[93] وأهل الذمة ملزمون بعدم إطلاع الأعداء على عورات المسلمين، وعدم إيواء الجواسيس في منازلهم وكنائسهم، وإخلالهم بهذه الشروط ينقض ذمتهم وعهدهم[94] لذلك سارع السلطان بيبرس إلى قتل نصارى قارة[95] لأنهم كانوا عيوناً للفرنج[96].

ولم يتردد القادة المسلمون في قتل الجواسيس المسلمين الذين ثبت تجسسهم للفرنجة أو للتتار؛ إذ قتل صلاح الدين عدداً من أعيان الدولة الفاطمية الذين كاتبوا الفرنجة عام 569هـ / 1174م[97] وأمر بيبرس بقتل مجموعة من أمراء الدولة المملوكية الذين راسلوا المغول ودعوهم لغزو بلاد الإسلام عام 673هـ / 1274م[98]، ولا تختلف عقوبة الجاسوسية الجماعية عن الجاسوسية الفردية، فقد شن صلاح الدين وبيبرس حرباً لا هوادة فيها ضد الأعراب المتعاونين مع الفرنجة، وأوسعوهم نهباً وقتلاً وتشريداً[99] وعادة ما تم قتل المخبرين في إطار حروب الجاسوسية البينية المشتعلة بين القادة المسلمين[100].

وتم قتل الجواسيس الفرنجة الذين تسربوا إلى البلاد الإسلامية؛ إذ أمر صلاح الدين بقتل الطلائع الصليبية التي توغلت في الحجاز "بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف"[101]، وشنق بيبرس جاسوساً أرسله فرنج صافيتا[102] عام 664هـ / 1265م[103].

ولم يتوانَ الفرنجة في قتل الجواسيس الذين اندسوا في صفوفهم أو قصروا في مهامهم أو تآمروا مع المسلمين، فقتلوا بطريقة وحشية الجاسوس المسلم الذي حاول معرفة أسرارهم العسكرية في أثناء حصارهم لبيت المقدس عام 493هـ /1099م[104] وتم إعدام بلدوين المرتد الذي تآمر على حياة سيده الملك بلدوين عام 504هـ /1110م[105] وشُنق أحد الفلاحين المسلمين لأنه عمل دليلاً للمقاومة الاسلامية أثناء إحدي إغاراتها على ضياع نابلس[106] وأمر ريتشارد قلب الأسد بقتل جاسوسين بدويين نقلا له معلومات غير دقيقة عن الجيش الإسلامي عام 587هـ / 1191م[107].

ويمكن إثبات تهمة الجاسوسية بإقرار المتهمين أو بشهادة الشهود العدول أو بالبينة الواضحة والأدلة الدامغة[108] ونادراً ما تمت محاكمة المتهمين بالجاسوسية، وإذا ما تمت محاكمة الجواسيس[109] فهي تنفذ بعُجالة، وبمستوى متدني من الشفافية والعدالة، وكان بإمكان الجاسوس اعتناق ديانة القوم الذين تجسس عليهم لينجوا بحياته، وهو أمر كان معمول به عند المسلمين والفرنجة[110] ولا يجوز للأفراد تطبيق العقوبة على الجواسيس، فهذا الأمر منوط بالدولة، لأن تنفيذ العامة للعقوبات يفتح أبواب الفوضى والانتقام.

نتائج الجاسوسية وتداعياتها:

كان للجاسوسية في زمن الحروب الصليبية نتائج وتداعيات سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية متشعبة ومتعددة الجوانب، مباشرة وغير مباشرة، قريبة وبعيدة المدى، إيجابية وسلبية، واختلفت تأثيرات العمليات الاستخباراتية باختلاف نوعيتها ومساراتها وأهدافها.

النتائج السياسية والعسكرية للجاسوسية :-

أسهمت الجاسوسية في استتباب الأمن، وتوطيد دعائم الدول، وردع العصاة والمناوئين، والقضاء على حركات التمرد، وازدياد هيبة الملوك والحكام، وإحكام السيطرة على السلطة، وتحقيق نوع من الاستقرار السياسي[111] وغالباً ما أدى إهمال الجاسوسية إلى اختلال أمور الدول، واضطراب أحوال البلاد، واستفحال نشاط المتمردين والمناوئين للسلطات الحاكمة، وتعاظم الأخطار الخارجية[112].

وسرّعت الأنشطة الجاسوسية المتبادلة بين الحكام زمن الحروب الصليبية من وتيرة الحروب، وأسهمت في إنجاح أو إحباط المؤامرات والاغتيالات التي ازدهرت خلال تلك الفترة' فأحُبطت خطة اغتيال الملك بلدوين الأول بفضل المعلومات الاستخباراتية التي سربها نصارى صيدا عام 504هـ

/1110 م[113] وأجهضت خطة اغتيال المنصور قلاوون في عام 680هـ / 1281م؛ نتيجة يقظة جواسيسه في عكا[114] ولعبت الجاسوسية دوراً مهماً في إسقاط المدن حيناً وفي انقاذها من السقوط أحيان أخرى[115].

وكثيراً ما أسهمت الاستخبارات في استطلاع قدرات وتحركات الأعداء، وتأمين طُرقات الجند، واتخاذ الاحتياطات اللازمة، وتعبئة الطاقات الملائمة لضمان كسب المعارك والحملات العسكرية[116] في حين تسبب تجاهل المعلومات الاستخباراتية أو تشوشها ونقصها في وقوع إخفاقات العسكرية[117] ورسمت المخابرات الخطط العسكرية وأعادت النظر فيها وفقاً للمستجدات والتطورات العسكرية، وشجعت المعلومات الاستخباراتية على الدخول في المواجهات العسكرية، ونصحت بتجنبها في أحيان أخرى، وتحسست أخبار الأعداء، وأربكت حساباتهم، وأفقدتهم عنصر المفاجأة، وأثرت على موازين القوى[118]، وتمكنت الجاسوسية في مواطن كثيرة من اختراق صفوف الأعداء ونشر الفتن وبث الفرقة في أوساطهم[119]، وحسنت الجاسوسية من شروط الهُدن والمفاوضات من خلال إطلاعها المفاوضين على نقاط ضعف الأعداء، وعزز تبادل المعلومات الاستخباراتية من التحالفات السياسية والعسكرية[120] واحتالت الجاسوسية في ايقاع الاعداء في شباك الأسر، ونجحت عملياتها النوعية في إخراج الأسرى من محابسهم[121].

النتائج الاجتماعية للجاسوسية:

لا شك أن الأنشطة الجاسوسية أدت إلى زعزعة الثقة بين الفئات الاجتماعية بسبب حالة التربص المتبادل، وسعاية شرار الناس بخيارهم، رغبةً في المال وتزلفاً للسلطان، وخرجت الجاسوسية في حالات كثيرة عن وظيفتها الأمنية والحربية وانغمست في تتبع أحوال الناس الخاصة[122] وأثارت الجاسوسية إحساساً دائماً بالرعب والخوف والهلع في نفوسهم، وسادت مشاعر القلق والتوتر، لأن الجواسيس أحصوا على الناس حركاتهم وكلماتهم وهمساتهم، وأفسدوا الحياة الطبيعية للمجتمعات.

ولطالما فرقت الجاسوسية بين الأحباب، وباعدت بين الأصحاب، وأثارت جواً من الريبة والشكوك والاتهامات في أوساط المجتمع، ولعل هذا هو ما دفع السلطان السلجوقي ألب أرسلان إلى الاستغناء عن الخدمات الجاسوسية للبريد لأنها من وجهة نظره تثير الأحقاد بين الأصدقاء وتُبعد المخلصين، وتُفسح مجال التسلُق للأعداء والحاقدين[123].

ونتج عن تنكر الجواسيس بثياب النساء والفقراء والمظلومين والتجار سوء الظن بهذه الشرائح، والتعامل معهم بحذر شديد، ولطالما توجس الجُند من هذه الفئات "فقتلوا منهم من قتلوا وفعلوا بهم ما فعلوا"[124] مما ألحق أضراراً عامة بهذه الفئات، وسائر المكونات الاجتماعية.

ومن بين الإفرازات السلبية للجاسوسة أنها سممت العلاقات بين الحكام ورعاياهم، واتسمت تلك العلاقة بلون من الحذر والترقب، وبطابع من الخوف وعدم الثقة، وأدى اهتزاز تلك العلاقات إلى وقوع نوع من التعديات والمظالم تجاه الفئات المشكوك في ولائها للسلطات الحاكمة، وهو ما كان له انعكاسات سلبية على الدولة والمجتمع.

وتسببت الجاسوسية التي قامت بها بعض الفئات المسيحية الشرقية لصالح القوى الصليبية في شروخ عميقة في نسيج المجتمعات الشرقية التي تعايشت قروناً طويلة[125] واستفحلت الكراهية الدينية بين المسلمين والمسيحيين المحليين، وساد شعور عام بين المسلمين أن قطاع عريض من المسيحيين الشرقيين خانوهم وخذلوهم خلال محنة الغزو الصليبي.

ولطالما رفعت الجاسوسية الروح المعنوية للناس أو خفضتها، فكثيراً ما حملت أخبار الجواسيس نبأ البشارات ووصول النجدات، وأسهمت في اشاعة الفرح، وحملت في أوقات أخرى انباء الهزائم والانكسارات وعمقت مشاعر الحزن والأسى.

ولو تصورنا حياة جاسوس على المستوى الشخصي لرُبما كانت حياته قلقة ومتوترة؛ إذ يعيش الجاسوس بأكثر من وجه، ويُظهر غير ما يُبطن، يُعاني من ازدواج الشخصية وفقدان الانسجام والاستقرار، ويلتهم نشاطه التجسسي معظم جهده ووقته على حساب أهله وأسرته وأطفاله، ومن المتصور تعرُض أسرة الجاسوس للمُضايقات الأمنية والمجتمعية بجريرة قريبهم المنتمي لأجهزة استخبارات معادية.

وأدت الجاسوسية إلى زعزعة الثقة بين أفراد المجتمع، وبين الحاكم والمحكوم، وخلخلت نسيج العلاقات بين مكونات المجتمع وطوائفه، لكن من الإنصاف الإشارة إلى بعض الآثار الإيجابية غير المباشرة للجاسوسية، فلا يستبعد أن تكون المعلومات الاستخباراتية قد مكنت الحكام الصالحين من الاطلاع على أحوال رعاياهم، ورفع المظالم عنهم، وتصحيح الإعوجاجات والاختلالات في إدارتهم، كما أسهمت الجاسوسية أيضاً في كبح الانفلات والفوضى، وتحقيقها نوعاً من الأمن والأمان للفرد والمجتمع، خصوصاً عندما مُورست بصورة معتدلة وبضوابط معينة، وبإشراف قيادات حكيمة.

النتائج الاقتصادية للجاسوسية :-

كان للجاسوسية نتائج إيجابية وسلبية، مباشرة وغير مباشرة على مجمل النشاط الاقتصادي في زمن الحروب الصليبية، فقد اشتعلت حروب اقتصادية إلى جانب الحروب السياسية والعسكرية، وأسهمت العيون والجواسيس في رصد وتتبع القوافل التجارية الإسلامية خدمةً لأطماع القادة الصليبيين الذين جنوا مغانم هائلة، في حين تكبد الاقتصاد الإسلامي خسائر فادحة[126].

وشجع توافر المعلومات الاستخباراتية الحكام على قمع المفسدين وكبت المجرمين، مما رفع من هيبة الدول، وحقق نوعاً من الاستقرار، فانصرف الناس إلى "الكسب والإعمار والبناء في ظل الأمن

والعدل"[127] فطابت حياة الناس وأمنوا على أعراضهم ومصالحهم وأموالهم، وازدهرت متاجرهم ومزارعهم وحرفهم، واتسعت أبواب الرزق أمامهم، فزاد العُمران وبُنيت الحضارات، وتقدمت الأمم.

ورغم أهمية الجاسوسية في توفير نوع من الأمن والعدل والاستقرار، إلا أن الإنفاق السخي على مختلف الأنشطة الاستخباراتية لم يكن متناسباً مع ما يتم توظيفه في المصالح العامة الأخرى؛ إذ بالغ بعض الحكام في الانفاق على الجانب الاستخباراتي، وكُرست له كثير من الإمكانيات والطاقات، فكان السلطان بيبرس يغرم على قصاده الأموال الكثيرة، ولو حُسب ما انفقه على مخابراته لعدلت "خزانة ملك"[128] وكان الصرف بسخاء على الجاسوسية والجانب الأمني يتم على حساب إشباع الحاجات الرئيسية لأفراد المجتمع' والإنفاق على المرافق العامة، فقلت العناية بالنظر في أحوال الناس وتلمس همومهم الحقيقية، خصوصاً في الجوانب الحياتية والمعيشية.

وعرقل تنكر الجواسيس بزي التجار[129] عجلة النشاط التجاري، لأن التجار أصبحوا عرضة لملاحقات السلطات الأمنية التي كثيراً ما اشتبهت بهم وأخضعتهم للمساءلة والتحريات الدقيقة، الأمر الذي شغل التجار عن مهامهم، وعطل نمو الحركة التجارية.

واستفرغت الأنشطة الجاسوسية كثيراً من قدرات العاملين في أجهزة الاستخبارات وشغلت طاقاتهم في تفحص أسرار الناس ودقيق أخبارهم، وأخبار مبيتهم ومقيلهم، وأنباء تجمعاتهم وخلواتهم، وهي في المحصلة أعمال غير مثمرة وليس لها أي مردود إيجابي على حياة المجتمع.

ووفرت الجاسوسية معلومات دقيقة عن استعدادات الأعداء وقُدراتهم، مما مكن القادة والحكام من مواجهة تلك التحديات بحشود وإمكانيات تتناسب مع عُدة وعدد الأعداء، في حين تتبدد الجهود عند غياب المعلومات الصحيحة، وتتكبد خزائن الدول أموالاً هائلة لا تتناسب مع حجم المُخططات المُعادية.

ومن النتائج الإيجابية وغير المباشرة للجاسوسية أنها دفعت الحكام للعناية بمرافق وطرق البريد وصيانتها بصورة مستمرة لضمان انسياب التقارير الاستخباراتية بسرعة وانتظام، وانعكس هذا الاهتمام بصورة إيجابية على تنقلات التجار والحجاج والمسافرين.

ويجب ألا ننسى النتائج العلمية والدينية للأنشطة الاستخباراتية، فقد أسهمت الجاسوسية في تقدم العلوم الجغرافية والعسكرية؛ إذ دأب الجواسيس على التنقيب عن تقنيات الأعداء ومخترعاتهم العسكرية[130] ونقلوها إلى أقوامهم فحسنوها وطوروها، وأدى الاهتمام بالبريد[131] إلى تحديد المسافات والطرق بين البلدان، وزيادة حصيلة المعلومات الجغرافية، ومعرفة طرق التجارة الدولية، لكن انتكاس العمليات الاستخباراتية وانكشاف أمر الجواسيس أدى إلى تحولات دينية في صفوفهم؛ إذ قايضوا سلامتهم بتغيير ديانتهم.

وفي الختام نشير لأهم نتائج البحث:-

1- وفرت الحروب والمكائد والدسائس والمؤامرات زمن الحروب الصليبية تربة ملائمة لنمو وانتعاش الأنشطة الاستخباراتية.

2- كان تفوق الاستخبارات الصليبية من بين أسباب توالي الهزائم على المسلمين في بداية الحروب الصليبية، لكن تغير هذه المعادلة[132] في أواخر الحروب الصليبية حقق نتائج عكسية.

3- لم يُعرف لليهود دور بارز في الجاسوسية زمن الحروب الصليبية رغم أنهم أربابها وسادتها عبر العصور التاريخية.

4- برع الإسماعيلية النزارية في النشاط الاستخباراتي على المستوى الجمعي وأصبحوا أساتذة فن الجاسوسية في عصر الحروب الصليبية.

5- برز السلطان بيبرس على المستوى الفردي رائداً في عالم الجاسوسية في أثناء الحروب الصليبية.

6- تفاوتت الدول في اهتمامها بالجاسوسية، ووصلت الجاسوسية إلى ذروتها في العصر المملوكي، وكان هناك ارتباط واضح بين نمو الأنشطة الاستخباراتية المنظمة، ورسوخ الدول ونهوضها وخروجها من طور البداوة.

7- بروز ظاهرة الجاسوسية المزدوجة في مرحلة الحروب الصليبية على أيدي بعض الفئات المسيحية والإسلامية.

8- تنامي مشاعر العداء والكراهية في أوساط الطوائف الدينية والجماعات العرقية تجاه الفئات الحاكمة المغايرة لها في الدين أو المذهب أو العرق، وفَّر بيئة حاضنة للجاسوسية المُعادية.

9- عادةً ما تتم الجاسوسية من قبل أفراد المجتمع وفئاته المُهمشة والضعيفة والفقيرة لصالح أطراف قوية ومُتسلطة وثرية.

10- تفُوق القدرات النسائية في الاستخبارات على قدرات الرجال.

11- عاش العاملون في السلك الجاسوسي حياة معذبة ومحفوفة بالمخاطر، ولطالما دفع الجواسيس حياتهم ثمناً لممارساتهم الأنشطة الاستخباراتية.

12- إن الانتصار في الحروب لا يتم بالأسلحة والجيوش فقط، بل يتحقق بالمعلومات التي تجمعها الأجهزة الاستخباراتية، وتُتخذ على أساسها القرارات الصائبة.

13- تراكمت المفاهيم والخبرات الجاسوسية عبر العصور، واستفادت الجاسوسية الحديثة والمعاصرة

من تلك الأسس والتجارب.

14- وجود مخابرات تتصف ممارساتها بالغطرسة والصلف والرعونة مشكلة، وغياب المخابرات أو ضعفها وفشلها يفتح الباب لمشاكل لا حصر لها.

توصيات:-

1- من الضروري إقامة منظومة استخباراتية متوازنة تلبي متطلبات الأمن الشامل للفرد والمجتمع والدولة، وتحافظ في الوقت نفسه على حقوق الناس وحريتهم وكرامتهم وخصوصياتهم.

2- لا بد من تربية الأمة على الحيطة والحذر والسرية والكتمان للحفاظ على مصالحها الحيوية.

الهوامش

(1)- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (د. ت)، جـ6، ص38؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاط، مكتبة لبنان، بيروت، 1950م، جـ1، ص44.

(2)- ابن منظور: لسان العرب، جـ13، ص301؛ الرازي: مختار الصحاح، جـ1، ص195.

(3)- ابن منظور: لسان العرب، جـ8، ص237؛ أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط1987،1، جـ10، ص227.

(4)- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ1، ص162؛ سمير الدروبي: حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 62، 2002م، ص18.

(5)- ابن منظور: لسان العرب، جـ14، ص386؛ الرازي: مختار الصحاح، جـ1، ص126؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ1، ص162.

(6)- عن أهمية الجاسوسية، انظر: عمرو بن بحر الليثي الكناني البصري الملقب بالجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1914م، ص167–171؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ10، ص218؛ أبو الفضل محمد بن الأعرج: تحرير السلوك في تدبير الملوك، ت ق 10هـ، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1981م، ص27.

(7)- نظام الملك حسين الطوسي: سياست نامة أو سياسة الملوك، تحقيق: يوسف حسين بكار، دار الثقافة، قطر، ط2، 1986م، جـ1، ص101؛ ابن كثير (ت774هـ/1372م) الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د. ت، جـ10، ص237؛ منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م، ص216؛ عبد الفتاح رجب: نظام البريد عند العرب والمسلمين خلال العصر الإسلامي الوسيط، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، جامعة عمر المختار، ليبيا، العدد الثاني عشر، الربع الأول 2011م، ص7؛ ستيفن رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1994م، جـ2، ص251.

(8)- عبد الفتاح رجب: نظام البريد، ص 3–6؛ منى بدر: الحضارة السلجوقية، ص214؛
Holt P.m.: The Ages of the Crusades, The Near East from the Eleventh Century to 1517, (London, 1986), p.150.

(9)- جوانفيل: القديس لويس حياته وحملاته علي مصر والشام ترجمة وتعليق: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1968م، ص113؛ علي السيد علي: العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، عين للدراسات،

القاهرة، ط1، 1996م، ص26؛ سعد بدير الحلواني: الاتصالات الأوربية الحبشية وأثرها على العالم العربي في أواخر العصور الوسطى وفجر الحديثة، ضمن ندوة الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوربي الأول، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، حصاد (2)، 1994م، ص204؛ حسن عبد الوهاب حسين: «الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام 1095–488/1187–583هـ» ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص54.

(10)- بطرس توديبود: الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة: حسين عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001م، ص317؛ الحلواني: الاتصالات الاوربية الحبشية، ص205.

(11)- عمرو بن بحر الليثي الكناني البصري المعروف بالجاحظ: مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق: محمد طه الجابري، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م، ص201؛ شهاب الدين عبد الرحمن المقدس المعروف بأبي شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997م، جـ1، ص158؛ منى بدر: الحضارة السلجوقية، ص217.

(12)- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ1، ص159–160؛ محمد عبد العظيم: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات، القاهرة، ط1، 2001م، ص314؛ ابراهيم حسن سعيد: البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص280.

(13)- محي الدين بن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، (د. ن.)، الرياض، ط1، 1976م، ص430؛ سمباط: التاريخ المعزو إلي القائد سمباط، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ35، ص341؛ ابراهيم حسن: البحرية، ص281؛ محمود محمد الحويري: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد (عصر الحروب الصليبية)، دار المعارف، القاهرة، 1979م، ص162؛ محمد عبد الله المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م، ص181؛

Thorau P.: The Lion of Egypt Sultan Baybars I and the near East in the Thirteenth Century, Translated by p.m. Holt (London ,1992) , p.222.

(14)- نظام الملك: سياست نامة، جـ1، ص123؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ10، ص221؛ الدروبي: الترجمة، ص17؛ محمد عبد العظيم: السلاجقة، ص314.

(15)- عن هيئات تنكر الجواسيس، انظر: نظام الملك: سياست نامة، جـ1، ص111؛ أبو شامة: الروضتين، جـ2، ص411؛ أسامة زكي زيد: الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م، ص75؛ نقولا زيادة: رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، دار لبنان، بيروت، ط2، 1986م، ص49؛ المقدم: الاغتيالات، ص68؛

Hussein M.T.: Knowledge of Arabic in the Crusader States in the twelfth and thirteenth Centuries, Journal of Medieval History, Volume 25, Number 3, September 1999 , p.206.

(16)- بهاء الدين ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994م، ص206؛ مؤلف مجهول: الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، جـ2، ص213.

(17)- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ13، ص363؛ حسن عبد الوهاب حسين: «الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام (1095 - 1187م/488–583هـ» ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، (المجتمع الصليبي في بلاد الشام)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص54.

(18)- عن التقية عند الشيعة، انظر: عبد الله سلوم السامرائي: الفرق الغالية في الدولة العباسية من القرن الثالث الهجري حتى القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1970م، ص161-162؛ المقدم: الاغتيالات، ص68؛

Armstrong k. : Holy war the Crusades, (New York, 1992) , p233.

(19)- ابو شامة: الروضتين، جـ1، ص43، جـ3، ص273؛ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الرحمن الشيزرى، ت 589هـ /1193م): المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق ودراسة: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، طـ1، 1987م، جـ1، ص706؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، صفحه مشرقه في تاريخ الجهاد الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1986م، جـ2، ص928؛ سامية عامر: الصليبيون في فلسطين، بلاد الشام، (جبيل ـ لبنان)، عين للدراسات، القاهرة، ط1، 2002م، ص139.

(20)- فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلي بيت المقدس (الاستيطان الصليبي في فلسطين)، ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2001م، ص162؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، جـ2، ص302؛ محمد مؤنس عوض: «أضواء علي تاريخ موارنة لبنان عصر الحروب الصليبية» ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، عين للدراسات، القاهرة، ط1، 2003م، ص197؛

El- Azhari T.K. : The Saljuqs of Syria, (Berlin , 1997) , P.112.

Runciman S.: «The first Crusade: Antioch to Ascalon» in: A History of the Crusades, volume. I, Ed. by: Setton, (London,1969) , p.330.

(21)- بطرس توديبود: الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى العربية وعلق عليه: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001م، ص135–136؛ المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه: الدكتور حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958م، ص50؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص302؛

Runciman: Ascalon, p.310.

Prawer J. : «Social Classes in the Crusader States: The "Minorities"» in: A History of the Crusades, volume. V, ed. by: Setton, (London, 1985) , p.83.

(22)- ابراهيم خميس: الحيل والخدع العسكرية الإسلامية منذ بداية الغزو الصليبي حتى وفاة نور الدين محمود 494–561هـ/1098–1174م، ضمن كتاب دراسات في تاريخ مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م، ص130.

(23)- أبو شامة: الروضتين، جـ2، ص131؛ عز الدين أبي الحسن علي بن الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط6، 1995م، جـ10، ص19.

(24)- أبو شامة: الروضتين، جـ2، ص288.

(25)- علي السيد على: العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، عين للدراسات، القاهرة، ط1، 1996م، ص188–192؛ حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون 1171–1268م/567–666هـ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1989م، هامش رقم 178، ص457.

(26)- وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ2، ص302.

(27)- متى الباريسي (ت672هـ/1273م): التاريخ الكبير، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ48، ص1093؛ محمد عبد الله المقدم: الجهود التبشيرية للكنيسة الكاثوليكية في عصر الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2010م، ص314؛ نهى حسام الدين سيد: بوهيمند النورماني ودوره في الحروب الصليبية 1096–1111م/490–505هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان، 2003م، ص135؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ2، ص123؛

Mayer H.E.: «Latins, Muslims and Greeks in the Latin Kingdom of Jerusalem» in: Problem des lateinischen Königreichs Jerusalem, ed. by: H.E. Mayer, (London, 1983) ,p.187.

Kedar B.: Crusade and Mission, (New Gersey, 1984) ,p.63.

(28)- محمد المقدم: الجهود التبشيرية، ص259؛ عبد المعطي البيومي سالم الدريني: العلاقات بين المماليك والفرنج دراسة تطبيقية على القدس خلال القرن الخامس عشر الميلادي، ضمن مؤتمر بلاد الشام، جـ2، نوفبر 1999م، ص915–955، ص 931؛

Atiya A.S. : The Crusade in the later Middle Ages, (London, 1938) , p.65.

(29)- علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1986م، ص98؛ محمد عيسى صالحية: النصارى في القدس في العهد المملوكي، ضمن بحوث تاريخية قُدمت بمناسبة مرور خمسة وعشرون عاماً على تأسيس جامعة الكويت، 1990م، ص211؛ كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995م، ص186.

(30)- أبو شامة: الروضتين، جـ2، ص286–287؛ حسين عطية: أنطاكية، ص428؛ جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م، ص261؛ كاهن: الشرق والغرب، ص142؛

.Duggan A.: The story of the Crusades 1097-1291, (London, 1963) , pp. 232 - 233

Sinor D.: «The Mongols and Western Europe» in: A History of the Crusades, volume.III, ed. by: Setton, (London, 1975) , p.523.

(31)- أبو شامة: الروضتين، جـ1، ص158؛ الحويري: الأوضاع الحضارية، ص165.

(32)- ابن شداد: النوادر السلطانية، ص206؛ منى بدر: الحضارة السلجوقية، ص216؛ علي السيد: العلاقات الاقتصادية، ص191؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ2، ص153؛

Pernoud R. : The Crusades, (London, 1962), pp. 181- 182.

(33)- أبو شامة: الروضتين، جـ1، ص159؛ الحويري: الأوضاع الحضارية، ص165.

(34)- سمير الدروبي: حركة الترجمة، ص20؛ علي السيد: العلاقات الاقتصادية، ص187؛ يوشع براور: الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس)، ترجمة: عبد الحافظ البنا، عين للدراسات، القاهرة، ط1، 2001م، ص623.

(35)- توديبود: الرحلة إلى بيت المقدس، ص314؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص136؛ حسن عبد الوهاب: دراسة لوصايا المنصور قلاوون من خلال مخطوط الفضل المأثور لشافع بن علي، ضمن مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، ص262.

(36)- أبو شامة: الروضتين، جـ3، ص127؛ فاطمة عبد اللطيف سيد أحمد الشناوي: معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر (1137–1291م/531–690هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1997م، ص249.

(37)- مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص232.

(38)- شمس الدين أبي المظفر بن سبط الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ15، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ15، ص348؛ حسن عبد الوهاب: مصر وأمن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية، ضمن مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، ص207.

(39)- عماد الدين الأصفهاني: البرق الشامي، تحقيق: فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد، عمان، ط1، 1987م، جـ5، ص72؛ عاشور: الحركة الصليبية، جـ2، ص700؛ حمدي مصطفي خليل شاهين: الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي، دار الهاني للطباعة، القاهرة، د ت، ص263؛

Hussein: Crusader, p.206.

(40)- مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1994م، ص161؛ الحويري: الأوضاع الحضارية، ص156؛ حسن عبدالوهاب: البحر الأحمر، ص208.

(41)- مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص215؛ الحويري: الأوضاع الحضارية، ص159؛

Sterns I. : «The Teutonic Knights in the Crusader States» in: A History of the Crusades, volume. V, ed. by: Setton, (London, 1985) ,p.338.

(42)- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ12، ص229؛ ابراهيم خميس: الحيل والخدع العسكرية، ص128؛
El.Azhari: Saljuqs, P.111.

(43)- عن الفداوية النزارية، انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص151؛ اسامة زكي: الصليبيون وإسماعيلية الشام، ص73؛ جوزيف نسيم: العدوان الصليبي،ص242؛ المقدم: الاغتيالات، ص 181؛
Rosebault C.J: Saladin Prince of Chivalry, (London, 1930), P.108.
Hitti P.K.: «The Impact of the Crusades on Moslem Lands» in: A History of the Crusades, volume. V, ed. by: Setton, (London, 1985), p.48.

(44)- عن تجنيد النساء العجائز في الجاسوسية، انظر: الجاحظ: التاج، هامش رقم 2، ص168؛ منى بدر: الحضارة السلجوقية، ص217.

(45)- عن تحذير الدول لسفرائها من مخاطر الجاسوسية النسوية، انظر: آمال حسن الخطيب: السفارات بين الدولة العباسية والامبراطورية البيزنطية، مجلة المؤرخ العربي، العدد16، 2008م، ص222.

(46)- حسن عبد الوهاب: الجريمة، ص53.

(47)- أبو شامة: الروضتين، جـ1، ص246؛ حسن عبد الوهاب: الجريمة، ص35.

(48)- أبو شامة: الروضتين، جـ3، ص246؛ حسن عبد الوهاب حسين:«الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الأولى وحتى سقوط بيت المقدس، 1095–1187م/488–583هـ» ضمن مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، ص117.

(49)- وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص235؛ عبد الوهاب: الجريمة، ص35؛
Oldenbourg Z.: The Crusades, Translated from the French, by: Anne Carter, (New York, 1967) , p.375.
King E.J.: The Knights Hospitallers in the Holy Land, (London, 1931), p.43.

(50)- أبو شامة: الروضتين، جـ4، ص105؛ رياض مصطفى شاهين: هدنة الرملة والظروف المحيطة بها، ضمن مؤتمر بلاد الشام، جـ1، نوفمبر 1999م، ص467.

(51)- علي السيد علي: المرأة المصرية والشامية في عصر الحروب الصليبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.، ص60؛ عاشور: الحركة الصليبية، جـ1، ص406.

(52)- أبو شامة: الروضتين، جـ4، ص35؛ حسين عطية: امارة أنطاكية، ص216؛ عاشور: الحركة الصليبية، جـ2، ص652.

(53)- روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ44، ص385.

(54)- المصدر السابق، ص385.

(55)- الحويري: الأوضاع الحضارية، ص164 _ 165؛ شاهين: الحروب الصليبية، هامش رقم 4، ص263.

(56)- جمال الدين الشيال: الجاسوسية في حروب بني أيوب، ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 2000م، ص77، شاهين: الحروب الصليبية، ص263.

(57)- الجاحظ: التاج، ص168؛ نظام الملك: سياست نامة، جـ1، ص111؛ الشيزري: المنهج المسلوك، جـ1، ص532؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة وزارة الثقافة، القاهرة، (د ت)، جـ7، ص70؛
Holt: Crusades p.150.

(58)- أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، جـ1، ص158

(59)- نظام الملك: سياست نامة، جـ1، ص111؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص135، 192.

(60)- عن أهم أوقات التجسس انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص341، جـ3، ص251؛ منى محمد بدر: الحضارة السلجوقية، ص217؛ ابراهيم حسن: البحرية، ص280–283.

(61)- عن أهم أماكن الجاسوسية انظر: نظام الملك: سياست نامة، جـ1، ص123؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص382؛ حسن عبد الوهاب: قلاوون، ص262؛ عبد الفتاح رجب: نظام البريد، ص8.

(62)- ابو شامة: الروضتين، جـ2، ص231؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص386؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ1، ص153؛

Holt: Crusades, p.72.

Holmes U.T. : «Life Among the Europeans in Palestine and Syria in the Twelfth and Thirteenth Centuries, » in: A History of the Crusades, volume. IV, ed. by: Setton, (London, 1975), p.31.

(63)- ابن منظور: لسان العرب، جـ3، ص86؛ عبد الفتاح رجب: نظام البريد، ص1.

(64)- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ12، ص337؛ الشيال: الجاسوسية، ص74–75؛ علي السيد: العلاقات الاقتصادية، ص191؛ منى بدر: الحضارة السلجوقية، ص216؛

Pernoud: Crusades, p. 181.

(65)- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ14، ص445؛ ابراهيم حسن: البحرية، ص287.

(66)- المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة، ص69؛

Lamb H.: The crusades, Iron Mien & Saints, (London, 1934) , P.150.

Sybel H.: The History and literature of the Crusades, translated from the Germany and Edited By: Lady Duff Gordon, (London, 1906), P.28.

(67)- ريموندجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقلة إلي الإنجليزية: جون هيوم هيل و لوريتال هيل، نقله إلي العربية: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1999م، ص262-263؛ تودبيود: الرحلة، هامش رقم 21، ص329–330.

(68)- ابو شامة: الروضتين، جـ1، ص158؛ ابن العديم: كمال الدين أبي القاسم عمر بن هبة الله ابن العديم الحلبي الحنفي: زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م، ص335؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص378؛

El.Azhari: Saljuqs, P.267.

Rosebault: Saladin, P.48.

(69)- الأصفهاني: البرق الشامي، جـ3، ص158؛ ابو شامة: الروضتين، جـ2، ص130، جـ4، ص310؛ الحويري: الأوضاع الحضارية، ص164؛

Duggan: Crusades, P.195.

Hindley G.: Saladin, (London, 1976), P.89.

Smail R.C: Crusading Warfare 1097-1193, (London, 1978), P.70.

(70)-ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص195، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ7، ص101.

(71)- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ7، ص350.

(72)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص423؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ13، ص251، 265.

(73)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص342–345؛

Frenkel: Baybars, p.163.

Thorau: Baybars, p.208.

(74)- حسن عبد الوهاب: قلاوون، ص258، 261؛ الدروبي: حركة الترجمة، ص53.

(75)- عن الجاسوسية الصليبية، انظر: الحويري: الأوضاع الحضارية، ص165؛ فيليب فارج ويوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ترجمة: بشير السباعي، سيناء للنشر، القاهرة، ط1، 1994م، ص78؛

Ryan J.D. : The Interrelation of the Oriental Mission and Crusade Activities of the Papacy under Nicholas IV (1288 - 1292), (New York, 1972), p.76.

(76)- ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص237.

(77)- مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص213؛ مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص234؛ جوانفيل: القديس لويس، ص130.

(78)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص195.

(79)- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ1، ص162.

(80)- وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص303.

(81)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص195؛ الحويري: الأوضاع الحضارية، ص62.

(82)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص386؛

Holmes: Europeans, p.31.

(83)- نظام الملك: سياست نامة، جـ1، ص100، 123؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ1، ص160–161.

(84)- وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص341؛ مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص215؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ1، ص161، جـ10، ص220؛ آمال الخطيب: السفارات، ص222؛ ابراهيم حسن: البحرية، ص281.

(85)- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ1، ص160.

(86)- أبو شامة: الروضتين، جـ1، ص158.

(87)- أبو شامة: الروضتين، جـ2، ص229–230؛ ابن الأثير: الكامل، جـ10، ص39.

(88)- أبو شامة: الروضتين، جـ4، ص35.

(89)- الحويري: الأوضاع الحضارية، ص165؛ شاهين: الحروب الصليبية، ص263.

(90)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص135.

(91)- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ10، ص157؛ منى بدر: الحضارة السلجوقية، ص218.

(92)- مؤلف مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص213؛ مؤرخ مجهول: تتممة وليم الصوري، ص174، 233.

(93)- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ13، ص322.

(94)- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ13، ص357، 364 .

(95)- قارة: بلدة كبيرة تقع بين حمص ودمشق وهى إلى حمص أقرب، وأهلها كلهم نصارى، انظر: ياقوت ابن عبد الله الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (د. ت)، جـ4، ص295.

(96)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص379.

(97)- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ6، ص70.

(98)- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ13، ص268.

(99)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص120؛ علي أحمد السيد: استرداد صلاح الدينة أيله، ص110.

(100)- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ5، ص374؛

Hodgson M. : The order of Assassins,(Mouton,1955) , P.108.

Lewis B.: «The Ismailites and The Assassins», in: A History of the Crusades, volume. I, ed. by: Setton, (London, 1969), p. 118.

(101)- الاصفهاني: البرق الشامي، جـ5، ص71؛ أبو شامة: الروضتين، جـ3، ص135؛

Lev Y. : «Prisoners of War during the Fatimid-Ayyubid Wars with the Crusaders» in: Tolerance and Intolerance: Social Conflicts in the Age of the Crusades, ed. by: M. Gervers and J. M. Powell, (Syracuse, 2001), p.13.

(102)- يقع حصن صافيتا (صافيثا) شمال شرق مدينة طرسوس السورية، وكان في عصر الحروب الصليبية من أعمال طرابلس، انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ14، ص72.

(103)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص252.

(104)- توديبود: الرحلة، ص317؛

Kedar B.Z. : «The Franks in the Levant, 11th to 14th Centuries» in: The Franks in the Levant, 11th to 14th Centuries, ed. by: B.Z. Kedar, (London , 1993) , p. 163.

(105)- عمر تدمري: موقف النصارى في ساحل دمشق، ص512؛
Friedman Y.: Captivity and Ransom in the Latin Kingdom of Jerusalem, (Leiden, 2002), p.141.
(106)- مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد بن منقذ الكناني الشيزري، ت58هـ/1188م: الاعتبار، حرره: فيليب حتى، الدار المتحدة، بيروت، 1981م، ص139؛ حسن عبد الوهاب: الجريمة، ص29.
(107)- ابن شداد: النوادر السلطانية، ص272.
(108)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص195؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ14، ص324.
(109)- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ14، ص324.
(110)- قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك دراسة وثائقية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2003م، ص87، 146؛ حسن عبد الوهاب: استيلاء الصليبيين على بيت المقدس 1099م في ضوء رواية بطرس تيدبوده " دراسة تاريخية مقارنة "، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، هامش رقم 20، ص40.
(111)- نظام الملك: سياست نامة، جـ1، ص101.
(112)- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ6، ص168؛ محمد عبد العظيم: السلاجقة، ص315.
(113)- وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ2، ص292؛ تدمري: موقف النصارى، ص512؛
Mayer: Latin, p.187.
(114)- حسن عبد الوهاب: المنصور قلاوون، ص245؛ علي السيد: العلاقات الاقتصادية، ص192؛
Amitai–Preiss: Mamluks, p.186.
(115)- أبن الأثير: الكامل، جـ9، ص250- 251؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص341؛
Sypel: Crusades, pp.28-29.
El.Azhari: Saljuqs, P.267.
(116)- وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص341؛ ابو شامة: الروضتين، جـ4، ص112؛ علي السيد: العلاقات الاقتصادية، ص189؛
Hindleg: Saladin, P.89.
Smail: The Crusaders, P. 70.
(117)- ريموناجيل: تاريخ الفرنجة، ص262؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ6، ص168.
(118)- توديبود: الرحلة إلى بيت المقدس، ص135–136؛ الحويري: الأوضاع الحضارية، ص165.
(119)- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ10، ص237؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ2، ص251؛
(120)- عاشور: الحركة الصليبية، جـ2، ص833؛
Hillenbrand C.: The Crusades Islamic perspectives, (Edinburugh, 1999).p.44.
Painter S.: «The third Crusade: Richard the Lionhearted and Philip Augustus» in: A History of the Crusades, volume.II, ed. by: Setton, (London, 1969), p.83.
(121)- ابن العديم: زبدة الحلب، ص335؛ ابن عبد الظاهر، ص430.
(122)- الجاحظ: التاج، ص171؛ أبو شامة: الروضتين، جـ1، ص171.
(123)- نظام الملك: سياست نامة، جـ1، ص107.
(124)- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ8، ص68.
(125)- الشارتري: الحملة الصليبية، ص162؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص379؛ عاشور: الحركة الصليبية، جـ1، ص336 337؛
Hitti: Crusades, p.50.
(126)- ابو شامة: الروضتين، جـ4، ص304؛ مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص311؛ مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص233؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ3، ص106–107؛ 263؛
Painter: Third Crusade, p.82.

(127)- نظام الملك: سياست نامة، جـ1، ص100.
(128)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص95.
(129)- ابراهيم حسن: البحرية، ص256؛ كاهن: الشرق والغرب، ص142؛ سامية عامر: الصليبيون، ص122.
(130)- توديبود: الرحلة إلى بيت المقدس، ص317، حسن عبد الوهاب: تيدبودة، ص24.
(131)- ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص95،

Frenkel: Baybars, p.165.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- ابن الأثير (ت 630هـ/ 1232م): عز الدين أبي الحسن علي بن الكرم بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ9، 10، دار صادر، بيروت، ط6، 1995م.
- الأصفهاني(ت 597هـ / 1200م): محمد بن صفي الدين الملقب بـ عماد الدين الأصفهاني: البرق الشامي، تحقيق: فالح حسين، جـ3، 5؛ مؤسسة عبد الحميد، عمان، ط1، 1987م.
- الباريسي(ت672هـ/1273م): متى الباريسي : التاريخ الكبير، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ48، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م.
- بطرس توديبود: الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى العربية وعلق عليه: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001م.
- ابن تغري بردي (ت 874هـ/1469م): جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ5، 6، 7، 10، 14، مطبعة وزارة الثقافة، القاهرة، (د ت).
- الجاحظ (ت 250هـ/864م): عمرو بن بحر الليثي الكناني البصري الملقب بالجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1914.
- الجاحظ، عمرو بن بحر الليثي الكناني البصري الملقب بالجاحظ: مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق: محمد طه الجابري، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م.
- جوانفيل: القديس لويس حياته وحملاته علي مصر والشام، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1968م.
- الرازي (ت721هـ/1321م): محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، جـ1، تحقيق: محمود خاط، مكتبة لبنان، بيروت، 1950م.
- ريموندجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقلة إلي الإنجليزية جون هيوم هيل ولوريتال هيل، نقله إلي العربية: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط،1، 1999م.
- سبط ابن الجوزي (ت 654هـ/ 1256م): شمس الدين أبي المطفر يوسف بن قزاوغلي سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ15، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص276 – 438.
- سمباط: التاريخ المعزو إلي القائد سمباط، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ36، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص279 - 354.

- الشارتري، فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلي بيت المقدس (الاستيطان الصليبي في فلسطين)، ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2001م.
- ابن شداد (ت 632هـ/1224م): بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تمي ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994م.
- الشيزرى(ت 589هـ /1193م): عبد الرحمن بن نصر بن عبد الرحمن الشيزرى: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، جـ1، تحقيق ودراسة: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، ط1، 1987م.
- ابن عبد الظاهر (ت 692هـ/1292م): محي الدين ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، (د. ن.)، الرياض، ط1، 1976م.
- ابن العديم (ت 660هـ/1261م): كمال الدين أبي القاسم عمر بن هبة الله ابن العديم الحلبي الحنفي: زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م.
- القلقشندي(ت 821هـ/ 1418م): أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، جـ1، 4، 8، 10، 13، 14، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987م.
- ابن كثير (ت 774هـ/1372م): الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، جـ10، 12، 13؛ مكتبة المعارف، بيروت، د. ت.
- ابن منظور (ت 711هـ /1311م): محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، جـ3، 6، 8، 13، 14، دار صادر، بيروت، ط1، (د. ت).
- ابن منقذ(ت 58هـ/1188م): مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد بن منقذ الكتاني الشيزري: الاعتبار، حرره: فيليب حتى، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1981م.
- مؤرخ مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه: الدكتور حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958م.
- مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.
- مؤلف مجهول: الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد، الجزء الثاني، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م.
- نظام الملك حسين الطوسي(ت 485هـ/1092م): سياست نامة أو سياسة الملوك، جـ1، تحقيق: يوسف حسين بكار، دار الثقافة، قطر، ط2، 1986م.
- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، جـ1 (ط1991م)، جـ2 (ط1992م).
- ويندوفر (ت 635هـ/1237م): روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ44، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م.
-ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م): ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، جـ 4، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

- ابراهيم حسن سعيد: البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، 1983م.

- ابراهيم خميس: الحيل والخدع العسكرية الإسلامية منذ بداية الغزو الصليبي حتى وفاة نور الدين محمود 494 – 561هـ / 1098 – 1174م، ضمن كتاب دراسات في تاريخ مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م، ص119 – 148.
- أسامة زكي زيد: الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م.
- آمال حسن عبد الحافظ الخطيب: السفارات بين الدولة العباسية والامبراطورية البيزنطية، مجلة المؤرخ العربي، العدد 16، 2008م
- جمال الدين الشيال: الجاسوسية في حروب بني أيوب، ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 2000م، ص73 – 77.
- جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م.
- حسن عبد الوهاب: استيلاء الصليبيين على بيت المقدس 1099م في ضوء رواية بطرس تيدبوده "دراسة تاريخية مقارنة"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، ص7 – 52.
- حسن عبد الوهاب حسين: « الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الأولى وحتى سقوط بيت المقدس، 1095 – 1187م / 488 – 583هـ »، ضمن مقاولات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، ص91 – 154.
- حسن عبد الوهاب: مصر وأمن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية، ضمن مقاولات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، ص189 – 238.
- حسن عبد الوهاب: دراسة لوصايا المنصور قلاوون من خلال مخطوط الفضل المأثور لشافع بن علي، ضمن مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، ص245 – 283.
- حسن عبد الوهاب: «الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام (1095 – 1187 / 488 – 583هـ» ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى (المجتمع الصليبي في بلاد الشام)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص3 -61.
- حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون 1171 – 1268م / 567 – 666هـ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1989م.
- حمدي مصطفي خليل شاهين: الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي، دار الهاني للطباعة، القاهرة، د ت.
رياض مصطفى شاهين: هدنة الرملة والظروف المحيطة بها، ضمن مؤتمر بلاد الشام، جـ1، نوفمبر 1999م، ص463 – 503.
- سامية عامر: الصليبيون في فلسطين، بلاد الشام، (جبيل ـ لبنان)، عين للدراسات، القاهرة، ط1، 2002م.
ستيفن رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، جـ2، جـ3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1994م.

- سعد بدير الحلواني: الاتصالات الأوربية الحبشية وأثرها على العالم العربي في أواخر العصور الوسطى وفجر الحديثة، ضمن ندوة الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوربي الأول، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، حصاد (2)، 1994م، ص201 – 226.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، صفحه مشرقه في تاريخ الجهاد الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1986م.
- سمير الدروبي: حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 62، 2002م، ص11 – 73.
- عبد الفتاح رجب: نظام البريد عند العرب والمسلمين خلال العصر الإسلامي الوسيط، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، جامعة عمر المختار، ليبيا، العدد الثاني عشر، الربع الأول 2011م، ص1 – 11.
- عبد الله سلوم السامرائي: الفرق الغالية في الدولة العباسية من القرن الثالث الهجري حتى القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1970م.
- عبد المعطي البيومي سالم الدريني: العلاقات بين المماليك والفرنج دراسة تطبيقية على القدس خلال القرن الخامس عشر الميلادي، ضمن مؤتمر بلاد الشام، جـ2، نوفمبر 1999م، ص915 – 955.
- علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ط1، 1986م.
- علي السيد على: العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، عين للدراسات، القاهرة، ط1، 1996م.
- علي السيد على: المرأة المصرية والشامية في عصر الحروب الصليبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.
- فاطمة عبد اللطيف سيد أحمد الشناوي: معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر (1137-1291م/531 - 690هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1997م.
- فيليب فارج ويوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ترجمة: بشير السباعي، سيناء للنشر، القاهرة، ط1، 1994م.
- قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك دراسة وثائقية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2003م.
- كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: أحمد الشيخ، سيناء للنشر، القاهرة، ط1، 1995م.
- محمد عبد العظيم: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات، القاهرة، ط1، 2001م.
- محمد عبد الله المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م،
- محمد عبد الله المقدم: الجهود التبشيرية للكنيسة الكاثوليكية في عصر الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2010م.
- محمد عيسى صالحية: النصارى في القدس في العهد المملوكي، ضمن بحوث تاريخية قُدمت بمناسبة مرور خمسة وعشرون عاماً على تأسيس جامعة الكويت، 1990م، ص190 – 222.
- محمد مؤنس عوض: « أضواء علي تاريخ موارنة لبنان عصر الحروب الصليبية »، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1، 2003م، ص187 – 221.

- منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م.
- نقولا زيادة: رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، دار لبنان، بيروت، ط2، 1986م.
- نهى حسام الدين سيد: بوهيمند النورماني ودوره في الحروب الصليبية 1096 – 1111م / 490 – 505هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان، 2003م.
- يوشع براور: الاستيطان الصليبي في فلسطين(مملكة بيت المقدس)، ترجمة: عبد الحافظ البنا، عين للدراسات، القاهرة، ط1، 2001م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Armstrong k. : Holy war the Crusades, (New York, 1992).
Atiya A.S.: The Crusade in the later Middle Ages, (London, 1938) -.
Duggan A.: The story of the Crusades 1097-1291, (London, 1963).-
El- Azhari T.K. : The Saljuqs of Syria, (Berlin , 1997). -
- Frenkel, Y: "Baybars and the Sacred Geography of Bild al-Sham: a Chapter in the Islamization of Syria's Landscape," Jerusalem Studies in Arabic and Islam 25, (2001), 153-170.
- Friedman Y: Captivity and Ransom in the Latin Kingdom of Jerusalem .Leiden,2000)(
Hillenbrand C.: The Crusades Islamic perspectives, (Edinburugh, 1999).-
Hindley G.: Saladin, (London, 1976).-
- Hitti P.K.: « The Impact of the Crusades on Moslem Lands, » in: A History of the Crusades, volume. V, ed. by: Setton, (London, 1985), pp.33 – 58
- Hodgson M. : The order of Assassins,(Mouton,1955).
-Holmes U.T. : « Life Among the Europeans in Palestine and Syria in the Twelfth and Thirteenth Centuries, » in: A History of the Crusades, volume. IV, ed. by: Setton, (London, 1975), pp.3 – 35.
-Holt P.m.: The Ages of the Crusades, the Near East from the Eleventh Century to 1517, (London, 1986).
-Hussein M.T.: Knowledge of Arabic in the Crusader States in the twelfth and thirteenth Centuries, Journal of Medieval History, Volume 25, Number 3, September 1999 , pp. 203-213.
Kedar B.: Crusade and Mission, (New Gersey, 1984).-
-Kedar B.Z. : « The Franks in the Levant, 11th to 14th Centuries », in: The Franks in the Levant, 11th to 14th Centuries, ed. by: B.Z. Kedar, (London , 1993), pp. 135 – 174.
King E.J.: The Knights Hospitallers in the Holy Land, (London, 1931).-.
Lamb H.: The crusades, Iron Mien & Saints, (London, 1934)-.

-Lev Y. : « Prisoners of War During the Fatimid-Ayyubid Wars with the Crusaders, » in: Tolerance and Intolerance: Social Conflicts in the Age of the Crusades, ed. by: M. Gervers and J. M. Powell, (Syracuse, 2001),pp. 11- 27.

-Lewis B.: « The Ismailites and The Assassins », in: A History of the Crusades, volume. I, ed. by: Setton, (London, 1969), pp.99-134.

-Mayer H.E.: « Latins, Muslims and Greeks in the Latin Kingdom of Jerusalem », in: Problem des lateinischen Königreichs Jerusalem, ed. by: H.E. Mayer, (London, 1983), pp. 175 – 192.

- Oldenbourg Z.: The Crusades, Translated from the French, by: Anne Carter, (New York, 1967).

- Painter S.: « The third Crusade: Richard the Lionhearted and Philip Augustus », in: A History of the Crusades, volume.II, ed. by: Setton, (London, 1969), pp.45 – 85.

- Pernoud R. : The Crusades, (London, 1962).

- Prawer J. : « Social Classes in the Crusader States: The "Minorities", » in: A History of the Crusades, volume. V, ed. by: Setton, (London, 1985), pp.59 – 115.

Rosebault C.J: Saladin Prince of Chivalry , (London, 1930). -

- Runciman S.: « The first Crusade: Antioch to Ascalon », in: A History of the Crusades, volume. I, Ed. by: Setton, (London,1969),pp.308-342.

- Ryan J.D. : The Interrelation of the Oriental Mission and Crusade Activities of the Papacy under Nicholas IV (1288 - 1292), (New York, 1972).

- Sinor D.: « The Mongols and Western Europe, » in: A History of the Crusades, volume.III, ed. by: Setton, (London, 1975), pp.513 – 544.

- Smail R.C: Crusading Warfare 1097-1193, (London, 1978).

- Sterns I. : « The Teutonic Knights in the Crusader States, » in: A History of the Crusades, volume. V, ed. by: Setton, (London, 1985), pp.315 – 378.

- Sybel H.: The History and literature of the Crusades, translated from the Germany and Edited By: Lady Duff Gordon, (London, 1906).

-Thorau P.: The Lion of Egypt Sultan Baybars I and the near East in the Thirteenth Century, Translated by p.m. Holt (London ,1992).